تعليم الكبار

فى بعض الأقطار الأوربية والأمريكية

ذكرت الصحف أن وزارة المعارف تدرس فى الوقت الحاضر مسألة تعليم الكبار . وهذه مسألة قد سبقتنا اليها الأمم الأوربية والأمريكية وعالجتها ، فهناك جمعيات تعنى بهذا الموضوع وتجمع كل ما يتصل به من ترقية هذا التعليم وتنويعه ووسائله ، وهى تصدر المجلات التى توزع على أعضاء هذه الجمعيات للتنوير حتى تستفيد كل هيئة بألوان النشاط الذى تقوم به الهيئات الأخرى .

وتعليم الصبيان الى سن الرابعة عشرة وأحيانا الى سن السادسة عشرة قد أصبح إجباريا فى جميع الأمم المتمدينة تقريبا ، ولكن الشاب الفقير الذى يترك المدرسة فى هذه السن قد يعيش فى وسط زراعى أو صناعى لا يساعده على متابعة التثقيف . بل هو أحيانا قد يقع فى أزمات مالية تعوقه عن شراء الجريدة اليومية التى توسع آفاقه الذهنية . ثم هذه المعارف التى حصل عليها فى المدرسة الى سن السادسة عشرة ليست بالمعارف التى تشبع الطموح الروحى وتصل بين الانسان وبين حركة الرقى الاجتماعى والثقافى فى العالم . ولذلك أسست الجمعيات والمدارس بل أيضا المكتبات وسيلة لزيادة التعليم واستكمال الدراسة .

والمكتبة المجانية هى أعظم الوسائل لتعليم الكبار . وقل أن يخلو حى فى مدينة أوربية أو أمريكية من مكتبة مجانية قد أسسها رجل أو امرأة من الأبرار ، فهو يشترى البناء والكتب ويحبس عليهما وقفا تؤدى منه نفقات الموظفين وثمن الكتب الجديدة واشتراكات الجرائد والمجلات . وسكان الحى يقصدون الى هذه المكتبة للقراءة وللاستعارة ، وبناء المكتبة هو على الدوام متواضع ، وجميع الكتب شعبية ، فلست تجد تلك الكتب الضخمة التى يحتاج اليها الاختصاصيون فى التاريخ أو الطبيعيات أو الكيمياء لأن عامة الشعب التى قصد اليها مؤسس هذه المكتبة لا يحتاجون الى هذه الكتب .

ويزيد الأمريكيون هذه الحركة نشاطا بإيجاد المكتبة المتحركة التى تقصد الى الريف وتعرض الكتب على القرويين لكى يختاروا منها ما يتفق ومزاجهم الثقافى ثم تعود اليهم بعد نحو شهر لكى يستبدلوا بالمجلدات التى قرأوا مجلدات أخرى . وفى أثناء هذا الشهر تكون " المكتبة المتحركة " قد زارت نحو ثلاثين أو أربعين قرية أخرى .

والوسط الزراعى هو الوسط الذى يتعرض سكانه لانقطاع الصلة بينهم و بين الثقافة. ومن هنا العناية الكبيرة التى تبذلها الهيئات الحرة والهيئات الحكومية فى تعليمهم سواء بالمكتبة أو بالمدرسة . والمثل الأنموذجى الذى يضرب على الدوام فى هذا الصدد هو المدارس الشعبية الدنمركية . فان دنمركا قطر زراعى كبير العناية بالزراعة العلمية التى تمتاز عن زراعتنا بالمقدار الذى يمتاز به النجار الدقى من النجار الريفى . والفلاحون هناك لهذا السبب فى حاجة إلى ما ينير أذهانهم عن العلوم التى تتصل بالزراعة .

وهذه المدارس تسير على النظام الداخلى فى الأغلب، وأحيانا على النظام الخارجى. و يفد إليها الفلاحون من الأجراء والفقراء فيندمجون فى نظام داخلى نحو شهرين أو ثلاثة أشهر بما يتفق عندهم وقلة العمل الزراعى . وهناك فى هذه المدارس يدرسون دراسات عالية فى العلوم والفلسفة والاقتصاد والاجتماع بما ينير أذهانهم فى عملهم وفى غير عملهم . وقد أخذت تروج وأسوج بنظام قريب من هذا النظام فى تعليم الكبار من القرويين .

وسويسرا من الأقطار التى عنيت بتعليم الكبار أيضا . وفيها ثلاثة أطرزة من المدارس الخاصة بهذا التعليم وهى :

(١) مدارس الشعب العالية فى زوريخ و برن و بازل .

(٢) مراكز تعليم العمال و يدخل فيها تعليم المتعطلين .

(٣) مؤسسات للتعليم على النظام الداخلى .

وليس التعليم مقصورا على محاضرات أو دروس مدرسية . و إنما هو يتناول الأبحاث الاجتماعية والتدريب الفنى والمناقشات السياسية وبحث العلوم والآداب . و يقوم بتنظيم هذا التعليم هيئات حرة مثل الجمعيات الرياضية ونقابات العمال والجمعيات التعاونية . وقد تحصل إحدى هذه الهيئات على إعانة حكومية أو تقوم وحدها بالنفقات . و جميع الطلبة يؤدون مصروفات مدرسية إلا إذا كانوا متعطلين فإنهم فى هذه الحال يتعلمون بالمجان . والمصروفات مع ذلك ليست كبيرة ، إذ هى تتراوح بين ٢٥ و ٣٢ قرشا لكل مادة . ولكى نعرف طراز الطالب الذى ينتمى إلى هذه المدارس نقول إن "مدرسة الشعب العالية فى زوريخ" كان بها من الطلبة من الجنسين فى عام ١٩٣٧ ما يلى :

(١) ٢٥ فى المائة من عمال المصانع .

(٢) ٣٣ فى المائة من مستخدمى المكاتب .

(٣) ٢٥ فى المائه من أرباب البيوت .

(٤) والباقون من المتعطلين .

أما مؤسسات التعليم على النظام الداخلى فقد قام بتأسيسها الدكتور فرنز فارتنفيلر . وهو يرى أن لهذا النظام مغزى روحيا من حيث جمع الأفراد من الجنسين ومن البيئات المختلفة لكى يثقفوا أنفسهم و يرقوا أذهانهم و يجتمعوا تحت سقف واحد للمناقشة الحرة والدرس المثمر .

وأسوج من الأمم التى عنيت أكبر العناية بالتعليم الشعبى للكبار . وقد زارها المستر مارفيك المدرس فى جامعة أدنبره ووضع كتيبا فى نظام هذه المؤسسات فى ٧٢ صفحة مؤلفة من ستة فصول هى :

(١) مدارس الشعب العالية .

(٢) المحاضرات الشعبية العامة .

(٣) حلقات الدرس والدراسة فى الاجازات .

(٤) الدراسة بالمراسلة وأحاديث الراديو .

(٥) المكتبات .

(٦) التعليم بغير الطرق الرسمية .

وتعنى فنلندا كذلك بتعليم الشعب بعد اجتياز سن الدراسة الالزامية . وهذا التعليم يجرى فى كليات شعبية .

وقد أنشئت الكلية الأولى فى عام ١٨٩٩ فى مدينة تامباى الصناعية ، وكان الغرض من إنشائها تعليم العمال الذين كانوا يعملون فى مصانعها .

ولما حصلت فنلندا على استقلالها عام ١٩١٧ وجدت هذه الحركة دافعا جديدا . فأخذت كليات الشعب تزيد حتى بلغت خمسين كلية عام ١٩٣٩ . ولا يجوز لأحد أن يلتحق بهذه الكليات إلا إذا تجاوزت سنه السادسة عشرة. و يبلغ عدد الطلبة فى هذه الكليات نحو عشرين ألفا .

والتعليم يجرى على طريقتين : طريقة المحاضرة ، وطريقة الدرس . والأولى هى الطريقة المتبعة فى التنوير الاجتماعى العام بإلقاء محاضرات عن الاقتصاديات والفلسفة والاجتماع واللغات والآداب والموسيقا والدرامة . والأستاذ لهذه المحاضرات ينظم حلقات البحث للمناقشة . أما طريقة الدرس فيؤخذ بها فى زيادة المعارف الفنية عند العامل . مثل دروس مسك الدفاتر والاختزال واللغات الحية والموسيقا الجوقية . أى أن العامل يدرس لكى يبتدع فى عمله أو لكى يتزود بمهارة جديدة إلى سابق معارفه .

ولكن كليات العمال على وجه عام تتجه نحو إيجاد ثقافة اجتماعية عامة بين العمال أكثر مما تتجه نحو إلقاء دروس عن أعمالهم .

والذى يقوم بإدارة هذه الكليات والانفاق عليها هو " جمعية العمال التعليمية " وبها نصف مليون عضو ولها ثلاثون فرعا فى أنحاء البلاد . وهذه الفروع تحصل على إعانات مالية من الحكومة تتوسع بها فى مجهوداتها الثقافى .

* * *

ومن هذا العرض لما يجرى فى أربع أمم هى : دنمركا وسويسرا وأسوج وفنلندا يتضح للقارئ أن الأمم المتمدنة لا تقتصر فى التعليم على المدارس الابتدائية التى يتعلم فيها الصبيان إجبارا الى سن الرابعة عشرة أو السادسة عشرة بل هى تعنى بإيجاد الكليات الشعبية التى تجعل العمال — عاملين كانوا أم متعطلين — على صلة دائمة حية بالثقافة الاجتماعية والعلمية والأدبية .

وهذه الصلة يراد بها قبل كل شىء التنوير العام و إن كان بعضها يزيد هذا التنوير بزيادة المعارف الفنية للعامل حتى يتكمل فى فنه أو صناعته أو يزيد مهارته أو يتعلم فنا آخر قد يحتاج إليه . ولكن الغاية الأصلية هى التنوير العام والاتجاه هو على الدوام أو فى الأغلب نحو الثقافة الاجتماعية . والقائمون بهذه الحركة هم أفراد الشعب أصلا . والحكومة فرعا وتبعا .

ومن هنا نفهم أن " كليات الشعب " فى أوربا ليست بدلا من المدرسة الابتدائية الإلزامية و إنما هى تتمة لها وزيادة عليها بين طبقات الشعب التى اضطر أفرادها تحصيل العيش إلى الكسب والانقطاع عن السير فى مراحل التعليم المدرسى والجامعى .

و بدهى أننا فى مصر نحتاج إلى مثل هذا التعليم . كما نحتاج إلى تعليم الأميين من الكبار ولذلك فإن مسألتنا أكثر تعقدا مما يواجهه المشرفون على التعليم الشعبى فى كل من أوربا وأمريكا .

هذا ولزيادة البحث فى هذا الموضوع نشير على القارئ الذى يرغب فى التوسع إلى الاتصال بالجمعية العالمية لتعليم الكبار وعنوانها (The World Association for Adult Education, 16 Russel Square, London W.C.I)